الرأس الذي ينظر إليّ

ألبرت طولا

بالتعاون مع :رودريغو غارسيا أولزا

إلى رودريغو غارسيا اولزا

الذي، بعد أن تحوّل في النار

ارتفع ،على نحوٍ غامض، الى السماء.

"أنا القزم الذي يعيش داخل الزجاجة. أُنّمي قدراتٍ لن يعرفها الإنسان الحرّ أبداً".

أبيليو إستيفيث، من كتاب القزم في الزجاجة

لم أكن مجرد رأس، كنت في السابق جملا كاملا. من حجمي يمكنك أن تستنتج أن جسمي لم يكن كبيرا ابدا. غيرَ أنّه كان جسدًا على أيّ حال. لا يهمّ أيّ نوع كان، المهم أنه كان جسدًا. وإنّه لمن الجيد أن

تقدّر نعمةَ امتلاكك لجسد، إذ يكفي المرءَ أن يكون له جسد، ولو لم يكن راضيًا عنه أو تمنى غيره. حتى لو كنت مريضا، أو سمينا و تتّبع حمية لأنك افرطت في الاكل في وقت ما، فليس الأمر سواء بين أن تملك جسدًا أو أن تكون بلا جسد. في هذا، انا أشبه الله: كلانا ليس له جسد. أو على الأقل، هذا ما يبدوا للعيان. لعل جسدنا هو هذا العالم، ربما. وعلى الرغم من أنني بلا جسد، فإنني أستطيع أن أفكّر. بطريقة ما، أفكّر.لا، لا عليك: يمكنك أن تلتقط صورة لي. لم يعد يهمّني. لقد اعتدت على ومضات الكاميرات. يمكنك أن تقف بجانبي، وتشكل بأصابعك علامة النصر، وتلتقط صورة إلى جانبي. ستكون دائمًا أنت المنتصر. هذا بحد ذاته مكسب كبير للصالح العام: أيّ شخص يمكنه ان يكون منتصرًا مقارنة برأس جمل معلّق بخطاف في محل جزارة بالسوق. لا أقلّل من شأن هذه القضية التي تروق الآخرين: فمن الجيّد أن يكون المرء واعيًا بفضائله، لا بعيوبه فقط! يمكنك أن تصوّرني، لكن لا يمكنك ان تصور الله... فذلك أمرٌ آخر. مع أنه، في الحقيقة، هو من تحاولون أن تلتقطوا له الصور بجشع، أنتم أيها السيّاح. فحين تزحزحون الناس جانبًا لتصوّروا الفناء الداخلي الأبيض الواسع للجامع الكبير، فإنما تريدون تصوير الله. وحين تركضون نحو المحراب في المدرسة القرآنية، وتتدافعون لتلتقطوا له صورة، ولا تنظرون إليه إلا من زاوية عدسة كاميراتكم — فأنتم، في الحقيقة، تحاولون تصوير العليّ القدير.تصوّرونه في كل لحظة دون أن تدركوا، في كل صورة سيلفي، طَوال الوقت، ومع ذلك: لا ترونه. لذلك تستمرّون في التقاط الصور بلا انقطاع. ولا تعلمون حتى أن ما تبحثون عنه هو الله من خلال صنعه. تشعرون بيأس عميق لالتقاط العالم بعدساتكم، دون أن تعرفوا ما الذي يكمن وراءه ولا الحكمة منه. أنتم لا تفعلون سوى تصوير العالم، دون وعي، وهذا مؤسف جدا...وحين تلتقطون لي صورة وأنا معلّق على الخطاف، تعتقدون — في أفضل الأحوال — أنكم تصوّرون غياب العدل الالهي: تصورون شاهدا على الشر، الشرّ اليوميّ طبعًا. لكن: حتى حين تصوّرونني أنا، أنتم تلتقطونه هو. لكن... أعلم، هذا أمر يصعب فهمه. تشعرون باليأس لالتقاط العالم بكاميراتكم دون معرفة حكمته. رأس الجمل المعلّق على الخطاف لا حول له و لا قوة. أستطيع أن أتفهّم ذلك، لا داعي للقلق. ليس من السهل فهم ماهية تعليقي على خطاف. ربما أنتم على صواب، وربما لا يكون لذلك معنى اصلا. أو ربما يكون هذا العبث المعزول الذي يبدو بلا معنى جزءًا من معنى أكبر. المفارقات تطفو في ضوء الغموض اللامتناهي، وماذا عسانا نفعل؟ سيظل لديكم دائمًا عزاءٌ بأنكم تستطيعون التقاط صور لهذه المفارقات. تفضّلوا. ها هي، صوروها، الفِرَق. استخدموها. هي على بُعد نقرة واحدة. أعتذر إن كنت أتحدث معك بهذا الشكل: في الحقيقة أنا معلّق على خطاف في محل جزارة. وهذا ما يدفعني للتحدث

من مكان عالٍ. .هل حقًّا يهمّك أن تعرف قصّة وصولي إلى هذا الخطاف؟ تبا للذباب! أتدري؟ ليس من السهل أن تكون معلّقًا على خطاف، لا هنا و لا في أي مكان اخر. ولا أظن أن الأمر اسهل إن كنت معلّقًا على خطاف في أوروبا. لكن، لأكون معلّقا على خطاف في أوروبا، يجب ان لا أكون جملاً. فلا يوجد جمال في أوروبا، ولا واحدا ، ربما في حديقة الحيوان، ربما...حسنًا، هذا هو الواقع؛ لا يمكن أن تكون الجمال في كل مكان. مع أنّني سمعتُ أنّ ما يُعلَّق على الخطّاف اذا اتجهنا شمالا هم الخنازير الصغيرة. ويُقدَّم الخنزير الصغير بأكمله على المائدة، برأسه وكل جسده. وغالبًا ما يُقدَّم وفمه مفتوح، يعضّ تفّاحة. ولإثبات أنّ اللحم طريّ ومطهوّ جيّدًا، يقطعونه باستخدام صحنٍ فقط. ويبدو انه اذا اتجهنا ابعد شمالا. فهناك من يؤكل رأس الخروف ايضا. وأينما كنت، ليس الأمر سواء بين أن تكون معلّقًا على خطاف في محل جزارة، أو ألا تكون كذلك. طبعًا، من لم يُعلَّق يومًا على خطاف، يصعب عليه أن يتصوّر ما يعنيه أن تكون كذلك. فالتعاطف له حدود، وتلك الحدود... هي رأس الخطّاف.. خطافي مثبت في الجزء اللين من الدماغ (لم يستأصل أحد دماغي بعد). فضلوا تثبيته هناك على طهيه مع صلصة الطماطم. لم يكن ذلك إهمالاً، على الإطلاق: علقه الجزار هناك حتى لا يحطم جمجمتي. لا تزال الذاكرة الأسطورية للجمال تحظى بتقدير في هذا العالم! اذ ليس من السهل ان يتذكر احدهم سبيله في الصحراء. ولا يمتلك الجميع ايضا ولاء الجمال. من ناحية أخرى، يفضل الناس أن يكون الرأس كاملاً على مائدة الطعام ، والسياح أيضا يفضلونه كاملا من اجل الصور. يعتقد الجزار أن دماغي لم يعد ينفعني في شيء. انه محق: ما فائدة أن تكون لك ذاكرة وذاكرتك معلقة على خطاف؟ كثيرون يخلطون بين الجمل ذو السنام و الجمل ذو السنامين.. جميع السنامات حدباء، لكن ما يُسمى عموماً بالجمل في الغالب هو الجمل ذو السنام الواحد. لأنه المعروف هنا و الأكثر انتشاراً. بالطبع، ليس من السهل عليّ هنا، وأنا معلقة على هذا الخطاف، أن أضرب لكم أمثلة توضيحية. أقسم لكم: كان لديّ سنام واحد فقط. سنام واحد أم اثنان؟ جمل أم جمل أحادي السنام؟ جمل أم رأس جمل؟ جمل ام ناقة ؟ كوني الآن رأس جمل بدلاً من جمل يسبب لي مشاكل في تحديد هويتي الجنسية. لا أعرف كيف أشير إلى نفسي. الحياةُ غيرُ متوقَّعة تماما، وتحمل في طيّاتها مشكلاتٍ لم تتخيّلها ابدا. لم أعتقد يوما أن وجودي على خطاف سيخلق لي مشكلة هوية. لكن كيف لا إذا كانت الهوية مرتبطة بالجسد كل هذا الارتباط؟ لن يتمكنوا من سلب هويتي مني أبدًا، فأنا متميز أو متميزة : ذلك يعتمد على ما إذا كنت تراني جملًا من غير راس (مذكر) أو جثة جمل من غير جسد (مؤنث).لم تكن تتخيل يومًا أن الكون قد يدور حول رأس جمل. أن يكون رأسُ جملٍ هو النقطةَ العمياءَ لمدينة

فاس.الرأس، شمس المدينة؟ او قمر المدينة الذي ينعكس عليه ضوء الشمس؟ أنا رأس جمل فلسفي: ترون كيف أبذل جهداً. على أي حال، مهما بدوت لكم فلسفية، فرأس الجمل قابلة للطهي لكنه عادة ما يتم تفضيل طهي الحدبات قبلها. يتم طهي الحدبات دائماً؛ أما الرأس، فليس بالضرورة. رأس الجمل له طعم حلو، وهو طري جدًا، وخالي من الدهون، ولذيذ؛ لكن، بعد ثلاثة ايام، يمكن أن تنبعث منه رائحة كرائحة السمك. عندئذ، يجب استبعاده من أي مائدة محترمة، خشية أن يسبب مشاكل في الهضم. كما ترون، رأسي هذا لا تنبعث منه رائحة السمك. لم يمض وقت طويل على نحري. لهذا لم أفقد الرغبة في الكلام بعد. ما زلت قريبًا من الحياة: أنت تستمع إلى ثرثرة زائدة من رأس اعتادت أن تكون لها جسد. صدمة التواجد في الهواء تولد سفسطة. ربما ذلك راجع الى الدوار الذي يسببه الفراغ من حولي ومن تحتي، وذلك الارتعاش الذي يجعلني أفقد الكلمات بعد أن فقدت جسدي، وتلك الهاوية المتمثلة في قول ما تبقى لي قبل ان تنتهي ثلاثة ايام، ذلك المنحدر أمام الصمت الذي يسبق الصمت الابدي، تلك الشكوك الصامتة لعدم وجود جسد أستنجد به لأبعد الذباب عن عيني؟ قبل عينيه، رأيت كاميرته. يبدو كوحش تكنولوجي يقترب. من ملابسه استنتجت أنني قد سبق ان رأيته من قبل لكن من الخلف فقط. مرارًا وتكرارًا يتردد على رأس الجمل، كما لو كان هناك شيء يجب ان يفهمه. ولكن ما الذي يجب فهمه في رأس جمل مقطوع جاهز للطهي؟ يبدو كما لو انه يعتقد أن متاهة المدينة القديمة يوجد حلها بالمكان الذي علق به رأس الجمل. فمثلما يوجد باب لدخول المتاهة، توجد نقطة بداية لفهمها، لكنه ما زال لم يهتد اليها بعد. ماذا سيقول رأس الجمل لو كان يستطيع الكلام؟، يفكر ، ماذا سيكون رأيه في المدينة؟ ما هي قطعة الفسيفساء المفقودة؟ هل هناك نقطة عمياء بالمدينة؟ لا يعرف السبب، لكن عليه الآن أن يجوب هذا المكان بمفرده. يحتاج إلى معرفة أين هو. والى اين يذهب. أين سيقيم، ولماذا وكيف. فجأة، بدل رأسي، يرى رأسًا آخر متدليا من الخطاف، رأسًا من ماضيه، يحجب شعر ناصيته الرمادي وجهه. لا يريد أن يرى وجها من ماضيه معلقًا على خطاف. "لا تنس ما حدث لنا"، يبدو له أنه يسمع ذلك الرأس يهمس. الرأس الذي يراه بدلاً من رأسي. لكن من يرى هذا الرأس حقا؟ هل يمكن ان يكون هذا الرأس جزءا من ذاكرة هذه المدينة؟ لماذا يلمح هذا الرأس إذا لم يكن له علاقة به؟ بجانب المجزرة يوجد متجر للمصابيح المذهبة. مصابيح مذهبة ضخمة على شكل لهب تتداخل في مجال رؤيته مع الأسلاك الكهربائية والسقف المصنوع من الألواح القصديرية البالية. ذهب المرينين، يفكر في ذلك ايضا ،ليس من دون سخرية. أم هذا الرأس جزء من خيال المصور؟ من هذا الذي لم نعد نراه أبداً، بعد أن أحببناه كثيراً؟ يتذكر زوجته الأولى. تزوجا في سن

مبكرة جدا. يكاد لا يتعرف عليها، لكنها قد تكون هي. لم يجد قط القوة ليطلب منها العفو عن أنانيته. سئمت منه، سئمت من كونه يفعل كل ما يحلو له فقط. في نفس الوقت ، يذكره الرأس بصديقة لم يعد يراها. كما يشبه صديقا متوفى . يرى فيه ملامح أجداده، الذين يفكر فيهم كل يوم تقريبًا منذ رحيلهم. بعض هذه الرؤوس أخطاء لا يمكن إصلاحها. تم قطع بعضها دون أن تستطيع فعل أي شيء. لماذا تظهر كل هذه الذكريات الآن؟ بعد ذلك، ينظر إلى الوراء، إلى الطريق الذي سلكه ويقول لنفسه: لا تدخل أي سيارة إلى هنا. يجب نقل كل شيء يدويًا، كما في العصور القديمة. هذا المكان يخرج عن منطق عالم اليوم. لا تعبر أي مركبة باب المدينة الأزرق. لا أعرف إذا مازال الكثير من الأماكن كهذه، يفكر بينما يحدق بي مرة أخرى. إذا كان عليه أن يكتب لتعويض ألم هذا الكوكب، فلن يستطيع التوقف أبدًا، وستؤلمه يده بشدة، يفكر ويفكر. ولكن من سيقرأ كل هذه الكلمات التصحيحية؟ من أين سيستمد القوة للقيام بذلك دون أن تنزف عيناه؟ يعود إليّ مرارًا وتكرارًا. أحيانًا يلتقط لي صورًا . وأحيانًا أخرى، يكتفي بالنظر إليّ. فقط عندما ينزل الكاميرا، أرى من خلال عينيه أنه لاا يعرف ما الذي أتى به إلى هذه المدينة. منذ سنوات، كانت عيناي مثل عينيه، هناك ليونة في نظرته، قليل من اللين وقليل من الحيرة. ما زلت لا أستطيع رؤية وجهه بالكامل، الكاميرا كأنها قناع يحجب عني وجهه. ومع ذلك، أكتشف ذلك في عينيه: لديه جواز سفر يسمح له بدخول أي مدينة في العالم. لا يوجد ما يختلف عن خطافي اكثر من جواز سفره،من بين كلّ الاختيارات المتاحة لك، لماذا اخترت هذه المدينة؟ ماذا يعني لك هذا المكان؟. تنظر إليّ كأنني كائن أسطوري من غير أن تنتبه إلى أنّ الكائن الأسطوري هنا ليس سواك. كائنٌ قادرٌ على تثبيت ما يراه بعينه الزجاجية الوحيدة. قزحيةٌ مهوسة تُصور بدل أن تصرخ. مسكينٌ أنت، بعينك الواحدة لا تلتقط إلا قدرًا ضئيلًا من الضوء، ما اضطرك إلى المجيء إلى هنا. قد يكون لي سنامٍ واحد فقط، لكنك ايضا ليس لديك سوى عينٍ واحدة.. والحدبة تفيد في البقاء على قيد الحياة أكثر من العين، خاصة إذا كانت العين زجاجية: فهي لا تساوي شيئاً، ويمكن أن تنكسر في أي لحظة. هناك أوقات أغفو فيها، اظل نائما او نائمة، لا تنس مشكلة الجمل مع الهوية. عندما أنام، أحلم بالصراصير. الصراصير اللعينة! ذات مرة تسلقت وجهي الساكن، وذلك يخيف الزبائن .يقضي الجزار اليوم كله في قتلها .أعتقد أن أرواح الصراصير، عندما لا تعرف إلى أين تذهب، تقفز الى أحلامي .في تلك الفترة التي كان لدي فيها جسد، لم أكن أنام أبدًا وأنا أمشي . إذا كان لديك جسد وتستطيع المشي، فأنت تعيش في نعمة. الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفعله رأس في محل جزارة هو الانتظار حتى يتم طهيه. لا يجب أن أنام .يجب أن أتغلب على التعب .إذا نمت،

سنفقد الاتصال البصري .عندما كنت أمشي في الصحراء، كنت قادراً على البقاء مستيقظاً لساعات طويلة لأنه كان لدي هدف، القرية التي كنت أريد الوصول إليها .إن امتلاك هدف ليس مثل عدم امتلاكه .إن امتلاك مكان أريد الذهاب إليه ليس مثل عدم امتلاكه .كان سنامي الوحيد أفضل حليف لي .عندما كان سنامي مليئا بالدهون، كان يساعدني على التحلي بالصبر وتحمل فترات الجفاف المديدة. ليس الامر سيان ان تكون صحراءا منذ الازل او ان تكون مكانا طاله التصحر، الامران مختلفان. .أعتقد أن صاحب العين الزجاجية يشعر بذلك أيضًا، على الرغم من ذلك، لا أعتقد أن التصحر بلغ من نفسه مبلغا، في الحقيقة، تمامًا كاعتقادي أن لا فرد من عائلته قد سبق وعلّق رأسه في أي مكان .لكن من يدري، لا أحد يعرف، في الواقع، يجب الحذر من الأحكام المسبقة :كل شخص يحمل عبئه. تتحرك الشمس، فيتحول ظلها من شكل اسقف الألواح القصديرية المموج، إلى شكل مستطيل لامع على الحائط أمامي مباشرة. ثم أراه مرة أخرى، يتجول في الأزقة الضيقة، يجمع خطواته . يمشي ما تيسر له ان يمشي، ويصر على الدوران في دائرة غير منتظمة. أعتقد أنه يريد أن يسير بحرية، دون التقاط صور، دون تحمل مسؤولية تثبيت أي لحظة: يمشي كما لو كان في المنزل، ويشاهد الآخرين يصورون مدينته بدلا من النظر إليها. وبكثرة تصويرها ينتهى بهم الأمر بسرقة روح المدينة. يحدث هَذا مع كَثير من المدن: دَوما ثَمَّةَ مدينة بعدُ جَنوبًا، مَدينَةٌ نَسْلِبُ منها رُوحَها. أَنَا أَعْرِفُه... لَقَد عرفته مِن ثِيابِه. الآن لا يرتدي عينه الزجاجية .أتعرف عليه من ملابسه فقط. حتى الآن، كان سائحًا بلا رأس. أخيرًا أستطيع أن أرى وجهه بالكامل. حينما تشير ساعة حائط محل الجزارة الى منتصف النهار أدرك: إنه في الواقع شاب يبحث كيف يسخر قدراته. لقد قرأ كتبًا لم تفده في شيء. إنه خائف، أو هكذا يعتقد .المشكلة أنه ليس خائفًا على الإطلاق .المثير للدهشة، وما يثير بعض الحسد الحتمي، أنه عاش دائمًا كالمعتاد بشعور أنه يحقق مبتغاه دون تدخل جهد كبير. اللعنة على الذباب !أنا أيضًا كنت أشعر أنني أحقق مصيري خلال رحلاتي .كنت أغلق أنفي حتى لا يدخل الرمل اليه، وكنت أشعر بالكمال .الجمل (أقول الجمل لكي تفهمني، في الواقع، كما تعلم، أنا جمل ذو سنام واحد) نحن الجمال، لدينا تلك القدرة الازلية على إغلاق أنوفنا حتى لا تمتلئ بطوننا بالرمال .كم أود الآن أن تمتلئ بطني بالرمل حتى أشعر به .محيط من الرمل في بطني. قبل أن تكون الصحراء امواجا من الكثبان الرملية، كانت بحرًا. لم أنس أبدًا. (ماذا سأنسى انا؟). ان الصحراء ،في الواقع، مجرد كذبة. فَما كُنتُ أَفْعَلُهُ هُوَ السَّيرُ في قَاعِ البَحْر. كنت دائما احرص على استحضار ذلك وانا امشي. بين بحر الماء وبحر الهواء، الشيء الوحيد الذي لم يتغير هو قاع الرمال والسماء المرصعة بالنجوم .لم يهمني أبدًا أن النجوم

كانت كذبة :كانت اكاذيب مضيئة (هناك اكاذيب مضيئة، أقسم لكم بجسدي الذي كان لدي). الآن بعد أن قطعت أرجلي (التي مشيت بها كثيراً) ولفوها بورق الجرائد، تمكنت من قراءة جزء من خبر مفرح :سبعمائة هجوم من قبل حيتان الأوركا على السفن خلال السنوات الثلاث الأخيرة في مضيق جبل طارق .لا يوجد شيء اكثر اختلافا عن حالي هذه كحوت أوركا حر طليق في البحر.بين طنجة و قادس، ترعب الأوركا سفن الصيد واليخوت الخاصة بهجماتها .تعض بأسنانها دفات السفن لتكسرها . تقلب عدة قوارب بضربها من تحت الماء .تقود المهمة أوركا تدعى غلاديس، لكونها الأكبر في المجموعة، وربما تكون الام المهيمنة في مجتمع أمومي. يبدو أنها تدرب مجموعة من أربعة عشر أوركا أصغر سنًا . تحيا غلاديس !غلاديس لديها ندبة كبيرة في زعنفتها، ربما ناتجة عن محرك سفينة .من بين بقع دمي المتناثرة على صفحة الجريدة، بدا لي أن الهجمات امتدت عبر الساحل الأطلسي إلى إقليم الباسك والساحل البرتغالي .المضيق هو الرابط الطبيعي الوحيد بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط . على ما يبدو، بين اليخوت وسفن الصيد وقوارب الشرطة و ناقلات الحاويات وزوارق المهربين و بوارج الرحلات البحرية والغواصات، يمر حوالي ألف قارب يوميًا عبر الأربعة عشر كيلومترًا التي تفصل بين الشاطئين .بسبب النزاع الإقليمي حول سبتة، لا يستطيع البلدان اتخاذ تدابير بيئية منسقة بين الجانبين. يناقش علماء البحار النظريات المختلفة :هل هم يلهون؟ هل يتدربون على الصيد؟ هل هو انتقام مدبر من قبل غلاديس؟ أم أنهم يرسمون حدودًا؟ هل هي مجموعة سمك اوركا معادية للرأسمالية؟ هل تشعر الأوركا اللطيفة والودودة في حدائق الحيوانات أن صغارها مهددة من قبل السفن؟ إلى أي مدى يمكن أن تصل قطعان الأوركا في ولائها للأنثى المهيمنة؟ هل سئمت كل هذا الضجيج تحت الماء؟ سئمت من الصيادين الذين يصطادون في جميع الأوقات وفي أي وقت من السنة؟ بقعة كبيرة من دمي غطت بقية المقال .يمكن القول إنها خريطة حمراء في بحر من الحروف .لم أستطع منع نفسي من الضحك، على الرغم من أن ضحكة الجمل المعلق على خطاف الجزار تضمر دائمًا القليل من الحزن . أحسنتن يا رفيقات !همست، وأنا معلقة بالكامل .عندما لا ينظر إلي أحد، أو على الأقل هذا ما أعتقده، أحلم بأن أكون احدى تلك الفقريات البحرية الكبيرة أجوب البحار .حيوانًا حرًا وقادرًا على وضع حدود للبشر .وحيوانًا آكلًا للحوم، يلتهم كل ما يجده في طريقه (ولكن هل التهام الآخرين أفضل من أن يتم التهامك؟). عندما كان جسدي يشبه جسد الجمل، كنت دائماً أتأرجح بين خوفين : الخوف من أن أُهجر والخوف من أن أُلتهم .وكنت دائماً أفضل أن أُهجر على أن أُلتهم .الآن، بعد أن لم يعد بإمكان أحد أن يهجرني، لم يبق لي سوى الخوف من أن أُلتهم، بوحشية، من قبل أي شخص .

أخاف أن أُلتهم، لأنه بمجرد أن أبلع، كيف سيُنظر إليّ؟ في المقابل، إذا كنت أنت من يأكل، فإن الآخرين يرونك دائمًا وأنت تأكل .تختفي عندما تؤكل .عندما تأكل، تظهر .إذا أكل أحدهم رأسي، سأختفي تمامًا .هذه هي هلوسة رأس لا يريد أن يختفي تمامًا .رأس معلق على خطاف يفكر في الموت . لكننا نحن الجمال (حتى نتفاهم فقط) ، لدينا نور خفي يصعب محوه :نور يتوق اليه الجميع .إنه نور قاع الصحراء. بغض النظر عما تفعله، فإن هذا النور يجلب دائمًا المشاكل (كما هو بين، النور يضيء دائمًا في الظلام) .إذا ابتعد النور، فهناك من يشعر بالإهانة .إذا اقترب أكثر من اللازم، فهناك من يختفي به ويخافه .في كل جنوب هناك نور لا يجرؤ شماله على النظر إليه .لا، لا تعتقد أن هذه المعلومات التي حصلت عليها من الصحيفة هي حالة منعزلة بالرغم من انني هنا وفي حدود إمكانياتي، فأنا جمل مطلع. عندما يبيعون اجزائي، عادة ما أستغل الفرصة لقراءة الصحيفة .في زَمَنِنا هَذا، العَالم بِأَسْرِهِ يمكن حشره في مكان صغير. حتى أنِي أراه من عال، عبر تلك الهواتف التِي تَمر أَمَامَ مَحَل الجِزَارَة: ضَحَايَا الحروب يتوسلون عَبر مَنَصات التواصل، أَلا تَتَجَاوَز مَآسِيَهُم بِنَقْرَة مِن إِصْبَعِ .توقف !توقف !توقف ! انظر إلي !أنا جائع !أرسل لي المال عبر الرابط في السيرة الذاتية بالحساب. بقيت لدي 2٪ من البطارية !لا يمكن لأي شخص فيه إنسانية حقًا أن يتجاوز هذا الفيديو دون مساعدتي أو النقر على زر الإعجاب!" أنا أتفهمهم: رأس جمل معلق على خطاف هو أسوأ شيء. ومع ذلك، كل حال له اوجه وجوانب. حتى في ان تكون معلقا.لا أَحَدَ يَفطن لمزايا هَذا الخطاف: فَأَنَا أَرَى أَشْيَاءَ شَتَّى مِن مَوْقِعِي هَذا، مِن مَرْقَبِي العَالِي هذا.يمرون امامي ينضرون في هواتفهم. و أرى كل ما يرون.. أرى أصابع ترسل المال أو تنقر على "أعجبني" (النقر على "زر أعجبني" يبدو لي أغبى شيء في العالم). بمجرد أن يرسل الخوارزمية الكثير من مقاطع الفيديو لطلب المساعدة، أرى كيف يتخطونها بأصابعهم، على الرغم من أنها تصبح أكثر فأكثر الحاحا عند طلب المساعدة، يتخطونها بأصابعهم، حتى لو كان هناك امرأة بوجه محروق على الهاتف المحمول، يتخطونها بأصابعهم .ثم تبدأ الأصابع في حظر تلك الفيديوهات وتعيد الخوارزمية عرض صور السفريات والعطل. أحبائي، جميع رؤساء العالم وجميع ضحاياهم يتسعون في هواتفكم المحمولة .هناك، بالقرب من الأشخاص الذين تحبونهم .أنا لا أملك هاتفًا محمولًا (لا تنسوا أبدًا أنني جمل)، لكن أجزائي لفت بأوراق جرائد. لا يمكنني إرسال المال عبر رابط أي سيرة ذاتية لأي حساب، لكن جسدي يمكنه اطعام أربع عائلات كاملة .أربعة، لأنني لست جملا كبيرا. امعي لن يجوعوا :يمكنهم أكلني في طبق طاجن، أو على البخار، أو صنع كباب مني . أعترف أنه من غير السهل قراءة الأخبار أثناء تغليفي :كما ترى، على الرغم من جهودي، لا أستطيع

دائماً أن أكون إيجابياً ! في الوقت الحاضر، يبدو أن انعدام التركيز في القراءة لا يهم؛ الأخبار دائماً تتكرر، لحسن الحظ. ربما تتساءل عما إذا بقي لدي أمل .حسناً، او ربما لا تتساءل، لكن لا يهم :أنا متحمس لفكرة أنك تتساءل .السؤال مهم، على الأقل بالنسبة لي .هل يمكن لجمل معلق على خطاف أن يضمر الأمل؟ أعتقد أنه مهم، لأنه ان تستمع إلى شخص فقد الأمل بالمرة ليس كأن تستمع إلى شخص لا يزال يؤمن بالحياة والتفاعل مع الآخرين .لا أحد هنا يمكنه إنكار أن رأسي هذا ما زال به إيمان، يحاول التفاعل إلى أبعد الحدود، يبحث عن الحوار حتى آخر نفس .رأس جمل متفائل ليس مثل رأس جمل يائس .هل تعرف ما هو أملي؟ أريد أن أستمر في التحدث معك (الشيء الجيد هو أنك هنا، أمامي، لا يمكنك تجاهل مأساتي بضغطة من إصبعك). أملي هو ألا أُفصل أبدًا عن هذا الخطاف الذي يمكنني من أن أُرى وأتواصل .آمل ألا تنتهي هذه اللحظة أبدًا .وأن أطفو في نهر من الكلمات الى بحر من الحروف لا نهاية له .ألا أفقد نظرتك أبدًا .الجنة بلا شك هي الآخر .أدعو الله ألا يفتحوا جمجمتي ويستأصلوا ذكرياتي .أخشى أن أفقد وعيي إذا فقدت عقلي (هذا مبرر، على ما أعتقد). لا أعرف أيضًا كم من الوقت يمكن لرأس جمل مقطوع عن جسده أن يتواصل، في الحقيقة. أكثر من ساعة بقليل؟ في الوقت الحالي، أنا هنا، أستمتع بنظرك. اتأرجح فيها. حتى نهاية الكلام كَم بَقِيَ لِي؟ أَيُّها الجَزَّار، ابعد هَذِا الصرصور عَن وَجْهِي !خِلالَ تِلكَ المَسافاتِ الطَّويلَةِ في حَياتِي الغَابِرَة، حِينَ كُنتُ أَحْمِلُ البَضائِعَ فَوْقَ ظَهْرِي، كَانَ صَاحِبِي الأَوَّلُ يَقْرَأُ عَلَى رَفِيقِ دَرْبِهِ شَذَراتٍ مِن رِحْلاتِ ابْنِ بَطُوطَة، كَي يقضي بِها سَاعاتِ المَسِير .ابن بطوطة، الرحالة العظيم من طنجة !في منتصف العصور الوسطى، سافر ثلاثين عامًا ووصل إلى الصين !كان ابن بطوطة حرًا في رحلاته مثل حيتاني !كانت مالكتي وصديقها يعزيان نفسيهما بأنهما أيضًا مسافران كبيران .هناك أجزاء أتذكرها كما لو كانت مكتوبة بداخلي:دَعْنِي أَتَذَكَّر... خَرَجْتُ مِنْ طَنْجَة، مَسْقِطِ رَأْسِي، مُعْتَزِمًا حَجَّ بَيْتِ اللهِ الحَرَام... فريدا، بِلَا أَنِيسٍ استأنس برفقته... لَكِنْ مدفوعا بِنَزْعَةٍ قَوِيَّة. أَجْمَعْتُ العَزْمَ عَلَى هَجْرِ الأَحْبَابِ وَالأَصْحَاب، وَفَارَقْتُهُم كَمَا تُفَارِقُ الطُّيُورُ أَوْكَارَهَا... وَكَانَ وَالِدَايَ فِي قَيْدِ الحَيَاة، فَتَحَمَّلْتُ مَضَضَ البعد عَنْهُمَا، فَمَرِضْنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ لِذَلِك... وَكَانَتْ دِمَشْقُ جَنَّةً مُعَجَّلَة... وَفِي هَذَا المَكَانِ رَأَيْنَا العَلَقَ الطَّيَّار، وَيُسَمُّونَهُ هُنَاكَ "زُلُو"، وَهُوَ يَكُونُ فِي الشَّجَر... فَإِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُ الإِنْسَان، طَارَ إِلَيْهِ وَعَلِقَ بِهِ فَامْتَصَّ دَمَهُ... وَكَانَ هُنَاكَ مُشَعْوِذ، فَقَالَ لَهُ المَلِك: "أَرِنَا مِنْ عَجَائِبِك". فَأَخَذَ كُرَةً خَشَبِيَّةً فِيهَا ثُقُوبٌ فِيهَا سُيُورٌ طِوَال، فَرَمَى بِهَا فِي الهَوَاء، فَارْتَفَعَتْ حَتَّى غَابَتْ عَنِ الأَبْصَار... ثُمَّ أَمَرَ صَبِيًّا لَهُ فَتَعَلَّقَ بِالسَّيْرِ وَصَعِدَ فِيهِ حَتَّى غَابَ عَنْ عُيُونِنَا... فَنَادَاهُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُجِبْه، فَأَخَذَ سِكِّيناً كَالمُغْضَبِ وَتَعَلَّقَ بِالسَّيْرِ حَتَّى

غَابَ هُوَ أَيْضًا. ثُمَّ أَلْقَى إِلَى الأَرْضِ يَدَ الغُلَام، ثُمَّ رِجْلَهُ، ثُمَّ يَدَهُ الأُخْرَى، ثُمَّ رِجْلَهُ الأُخْرَى، ثُمَّ جَسَدَهُ ثُمَّ رَأْسَه، وَنَزَلَ هُوَ وَهُوَ يُصَفِّرُ وَثِيَابُهُ مُلَطَّخَةٌ بِالدَّم، فَقَبَّلَ الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ وَكَلَّمَهُ بِالصِّينِيَّة... ثُمَّ أَخَذَ المُشَعْوِذُ أَعْضَاءَ الغُلَامِ وَضَمَّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَرَكَله بِرِجْلِه، فَقَامَ سَوِيًّا. فَعَجِبْتُ وَاشْتَدَّ بِي الخَوْفُ حَتَّى حَصَلَ لِي خَفَقَانٌ فِي القَلْب... فَوَاللهِ مَا كَانَ صُعُودٌ وَلَا نُزُولٌ وَلَا تَقْطِيعُ أَعْضَاء، وَإِنَّمَا هُوَ خَيَال.

ليت تقطيعي الى أجزاء كان وهمًا في مخيلة المصور ذي العين الواحدة فقط! على الرغم من أنني كنت جمل حمالة، إلا أنني كنت أشعر قليلاً بأنني ابن بطوطة بطريقتي الخاصة في تلك الرحلات الطويلة ...اللعنة على الصراصير !مهما تسلقتم على وجهي، فلن تقضوا على ابن بطوطة! لقد عاد مصوري. لقد عاد ليصورني، أشعر بذلك (هذه الأشياء يمكنك ملاحظتها) لكن بدلاً من تصويري، ينزل الكاميرا في الوقت المناسب وينظر إلي .ينظر إلي بصمت .ويتسمر نظره .هل ستشتريني؟ هل يمكنك تخيطي حتى لا يستأصلوا دماغي؟ عندها أستطيع الاستمرار في النظر والتفكير .لقد عاد مرات عديدة، أعتقد أنه يقيّم الأمر :إنه صديقي .في عيني صديقي أجد نهاية العالم .لم أر قط عيوناً بهذه الرقة والتفهم .آمل أن يجد ما يبحث عنه .آمل ألا يعثر علي وحدي في هذا المتاهة. آمل أن يجد خلاصه أخيراً .آمل ألا تلهيه الغيرة أو الغضب أو أي إسقاطات أو عبودية بشرية أخرى .آمل أن يجد ما يبحث عنه وما لن يستطيع تصويره أبدًا، لأنه لن يستطيع أبدًا تصوير دواخله؛ شيء لا داعي لمحاولة تصويره .أظن أنه يعاني من إرهاق شديد مثلي. هو أيضًا لا يتحمل الصراع .كما تعلم في المنزل، صبر على كل ما كان ضروريًا من أجل الصالح العام .كان قادرا على التضحية بنفسه من أجل حمل اعبائه. لكن عندما لا يستطيع الجمل تحمل تعب اضافي في خدمة مالكه، أياً كان، عندما يتجاوز الجمل حدود الخدمة والخضوع ويصبح غير منتج، عندها قد يفقد أعصابه ويقتل مالكه .أو يدفن نفسه، في أي مكان، في وسط أي مكان، يستلقي في صمت لا حدود له.لا لم أعض مالكتي الثانية ذلك المساء اللعين على شاطئ طنجة. وصلت متعبا إلى مدينة طنجة، حيث لطالما رغبت أن أكون، شمال جنوبي وجنوب شمال آخرين، حيث تتقاطع جميع الطرق ويصبح كل شيء ممكنًا في حلم غير متوقع .كانت الرحلة شاقة وحزينة :صعدت إلى شاحنة، وتحولت الألوان البنية لطفولتي إلى مروج خضراء لم أتعرف عليها .جمل شاطئ؟ هل يستحق المسافر هذا المصير؟ تحت أشعة الشمس، كانت ناطحات السحاب أمام الرمال كمرآة عالية تعكس عدم انتمائي وغباء تصرفاتي :الجلوس وسط الرمال وإسقاط رأسي على الأرض .كان عليّ أن أعرف أنني في الواقع كنت أضعه على منضدة الجلاد .الجمل لا يضحى به بسهولة .الجمل تراث .في الجنوب، تقاس ثروة الرجل بقطيعه من الجمال. . هناك من يذبحنا بدلاً من

الخروف خلال العيد الكبير، لأن لحمنا أكثر صحة .بل و يشربون بولنا لعلاج مرض السكري .نحمل قومنا إلى الصحراء .في الحقيقة، هناك يجب أن تكون في حالة سيئة للغاية حتى يضحوا بك ويأكلوك. أفضل أن أتجنب اسداء هذه الخدمة الأخيرة ...نظرة أخرى تفاجئني .إنها فتاة .فتاة سائحة .المسكينة، صغيرة جدًا وسائحة .بدا لي أن عينيها خضراوان .قد تكون زرقاء .ما زلت صغيرا جداً على الإصابة بضعف النظر .لطالما كنت صغيراً جداً على معظم الأشياء التي حصلت لي .ليتني كنت على العكس من ذلك كبيراً جداً على أي من تلك الأشياء !أظن أن هذه الطفلة لم تر رأساً مقطوعة من قبل .أنا أول رأس مقطوعة تراها !(ليس من السهل أن تكون رأساً مقطوعة، على ان لا تكون). في عينيها فهمت معنى الرعب.لا تستطيع أن ترى فيّ الماضي .كل ما تستطيع تلمح فيّ هو المستقبل .هل رأت نفسها في عيون الآخرين؟ لم ينظر إلي أحد من قبل بهذا الرعب .ليسوا سواء أن ينظر إليك أحد بفزع أو ينظر إليك بارتياح، هذا واضح .بقيت تنظر إلي لفترة طويلة، مذهولة، كأنها لا تفهم شيئًا، كأنها تقول لي أشياء كثيرة مثل تلك التي أفكر بها عنها .لوهلة، بدا لي أنها ستبكي، لكن دون أن تخرج الدموع من عينيها. الدموع الجافة مثل الرمل في العين. أين هي؟ أين ذهبت؟ هل ستتذكرني تلك الفتاة عندما تكبر؟ ثمة طفلة أخرى أتت لرؤيتي بعد وقت قصير من تعليقي. كانت من بنات الحي، ولا ريب أنها ولدت هنا. كانت عيناها بنيتين أو بلون العنبر. لا أدري لم توقفت لتتأملني؟ فلست أول رأس جمل تراه في محل الجزارة هذا. لماذا اختارتني أنا، وقد رأت رؤوسا كثيرة قبلي؟ هل تتدلى الرؤوس من الخطاطيف بأشكال مختلفة؟ هل تتغير نظرة الأجفان الذابلة؟ كانت تلك المرة الأولى التي أشعر فيها أنني مرئي بوصفي "رأس جمل". سواء كان ذلك حقيقة أم لا، فإن تلك الطفلة كانت أول من أبصرني في حالتي الجديدة.لحسن الحظ أنك أنت أيضا تراني الآن.. كانت قد اكملت ساعة محل الجزارة ستة دورات بالفعل، واستقر في داخلي ذلك الأمل الأخير في أن يفسد لحمي ولا اسحب من الخطاف لكن، ما إن استقر في نفسي أمل نهائي، حتى امتدت يد وقذفت بي على طبق. سمعت الجزار يقول: "لقد ذبحناه بكل احترام"، فأجابته امرأة بنبرة لا تخلو من السخرية: "دائما بكل احترام". استنتجت أنها مالكتي الجديدة، الرابعة في عداد من ملكوني. للحظة، وكلي أمل، ظننت أن من اشتراني هو صديقي ذو العين الزجاجية الوحيدة؛ فقد جاء لرؤيتي ثلاث مرات في ثلاث ايام متتالية. كان صديقي دون أن يدري. وبما أنني شعرت بصداقته، فقد صار كذلك (فأحيانا يكفي أن يحمل أحد الطرفين شعور الصداقة لتوجد الصداقة). لا بد أن هناك سببا جعله يتوقف ليلتقط لي صورة. لقد آمنت دائما أن المرء يلقى جزاء شعوره نوعا ما. حتى رأس الجمل المعلق في خطاف يمكن أن يبادل الشعور. قبيل سماع

صوت الجزار، تساءلت: هل أنزلني صديقي عن الخطاف؟ لكن كل شيء انهار حين سمعت صوت مالكتي الغامضة وهي تقول بتلك السخرية الخفيفة: "دائما بكل احترام". لم يتسن لي قط رؤية وجه المرأة التي صار مصيري بين يديها. ورغم أنها لا تعلم، ولن تعلم أبدا، فقد رجوتها في دواخلي، كما لو كنت أصلي، ألا تشق جمجمتي لتتذوق دماغي. إن فعلت، فلا أظن أنني سأشهد نهايتي الخاصة... أو على الأقل سأشهد جزءا منها فقط. أقول هذا وأنا أعلم أن كل شيء غير مضمون... فليس قليلا عدد من يستمتعون بدماغ الجمل المشوي، المطهو بالتوابل المحلية: الفلفل الأسود، والزنجبيل، والزعفران حسب الرغبة... . على الرغم من أن المعتاد هو طهي الدماغ مع الطماطم والكمون وقليل من البابريكا والملح والفلفل، وتزيينه بالبيض، كما نطبخ كل أدمغتنا .مع الخبز، طعمه رائع .أقدام الإبل عادة ما تكون أكثر شعبية من الرأس، نظرًا لمحتواها العالي من الكولاجين .تفضلنا النساء وكبار السن بشكل خاص، والسيدات المحترمات يعشقن حوافرنا !يا لحظي السيئ !لقد ذبحوني دون أن يكون هناك أي مناسبة خاصة !بشكل عام، يتم طهيّنا في المناسبات والاحتفالات الخاصة، لذلك ينجو معظمنا .لا يوجد في المدينة كلها من يبيع لحم الابل سوى جزارين أو ثلاثة ، وقد انتهى بي المطاف هنا !. هؤلاء على قلتهم ينحدرون جميهم من الصحراء .أيها خونة، ملاعين !في كل البلدان يوجد خونة وفي كلها يوجد جزارون .جميع السياح الذين يتوقون لالتقاط صورة معي يعتقدون أن الجميع هنا يقضون يومهم في أكل لحم الابل ، لكن أكل لحم الابل هنا يشبه أكل التمساح في أوروبا .في الجنوب، الأمر مختلف، لكن هنا من المعتاد أكل لحم الضأن أو البقر أو الخروف، وليس اللحم البقري !لماذا يجب أن يقتلوني أنا بالذات؟ كنت أعتقد أن مصيري لا يمكن أن يزداد سوءًا عندما اشتروني لأقوم بنقل السياح على الشاطئ .الجميع سعداء على الشاطئ في وجود الجمال !أنا الذي حملت الصوف والقطن والشاي والتوابل على ظهري، أنا الذي كنت مفيدًا لمجتمعي، أصبحت الآن أحمل أطفالًا صاخبين !أتذكر تمامًا اللحظة التي بدأ فيها ظهري يؤلمني .كان هناك رجل عجوز سمين وأحمر كالبنجر متحمسًا لركوب ظهري .عندما امتطاني، انكسر شيء ما بداخلي .كان عليّ أن أتحمل الألم بصمت، لكنني لم أستطع كتم أنيني .اللعنة. حسب ما سمعت، فقد باعوني بسعر زهيد (دائمًا ما يقللون من شأن براعتي في الكلام). جاء الجزار الوحيد في المدينة ليفحصني ورفضني .مرة أخرى يرفضونني ويرسلونني بعيداً :لا أحد يكون نبياً في وطنه، فمغني الحي لا يطرب. يضعونني في شاحنة ويقيدونني بالحبال، تحت قماش قذر. مع زملائي الآخرين، نسافر لساعات في ظروف لا إنسانية، مع عيون مغطاة، لا أعرف إن كان النهار أم الليل .على الرغم من أننا جمال، فإننا نتعرق .يطعموننا الصبار، لكنهم لم ينظفوه جيداً وبعض

الأشواك تعلق في حنكي .لم يوردونا الماء إلا قبل الانطلاق. عندما أخرجونا من الشاحنة، لم اكن أعرف أين كنت .تعرفت، من بعيد، على مدينة فاس من المآذن الخضراء بين الأراضي الجافة. حَتَّى اليَوْم، لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا إِلَّا فِي البِطَاقَاتِ البَرِيدِيَّة..كنت قد وصلت إلى هنا مع مالكتي الأولى. مدينتي الحبيبة، عندما بدأت بسرد رسالة ود لها، أقتدت إلى فناء ذو أرضية حمراء من الدم حيث امتزج الدم والغبار بطين نحاسي لطخني.ثم استغل أحدهم الموقف....في كل مرة يشترون جزءًا مني، أتمكن من رؤية أجزائي الأخرى مقطعة في زاوية المذبح وأودعها :الفخذان، الأرجل، الكبد والكلى ...حسبما أستنتج، فقد أخذوا أضلعي بالفعل (لم ألاحظ ذلك). أرجوك، يا مالكتني الغامضة، لا تقطعي لساني حتى أستطيع الاستمرار في الكلام !من اللحظة التي ينزلونني فيها، أرى كل شيء باللون الأخضر الفاتح . لكي تفهمني، نفس اللون الأخضر الفاتح لأسقف المساجد ومقابر الصالحين، أخضر لتذكيرنا بالجنة، التي كانت وستظل دائماً أبدية .كل شيء أخضر !أخيراً أرتاح !لم تكن خيالاً، حدسي بالأمل !أخيراً، الجنة !لكن لا :أنا في كيس بلاستيكي أخضر .ما أراه من داخل الكيس هو غابة من الخضرة الميتافيزيقية .أرجل، أناس يصلون على سجاداتهم، أطفال، متسولون، أكياس خضراء ووردية وبيضاء أخرى، بغال حمالة (آه، أخواتي!) ، شبان يشربون الشاي على مقاعدهم، بوتيرة سريعة، بينما كل شيء يضربني :أرجل مالكتي الغامضة، جدار، ركبتي رجل، وحتى أرضية الأسفلت نفسها عندما تفتح مالكتها أصابعها بشكل غريب (أحيانًا تكون هناك إيماءات غير مفهومة وعبثية) وتسقطني (مع خطر كبير بإلحاق الضرر بفكي قبل أن تستفيد منها).في لحظة معينة، توقفت عن رؤية اللون الأخضر للجنة .أنا على طاولة خشبية .يفتحون جمجمتي بمنشار صغير .لا أشعر بألم.توجع الفكرة (و هذا هو الاسوء) . أعتقد أنهم يستخرجون دماغي وأنني بين ألسنة اللهب البرتقالية، بسبب الحرارة ورائحة الخبز (ألا تصدقوا؟، ما زال هناك بعض الاحساس في أنفي). أفهم أنهم وضعوني في فرن الحي، حيث يأخذ الجميع اطباقهم للطهي، ومن خلال زاوية الفرن، أتأكد من أنهم قد فصلوني بالفعل عن دماغي، أراه، رماديًا وداميًا، على الطاولة، من هنا يفترض أن قصتي قد انتهت، ولكن لا، يبدو أنني أستطيع الاستمرار في السرد (من خلال تجربتي المتواضعة، هذا دليل على أن الوعي ينتج الدماغ وليس الدماغ الذي ينتج عنه الوعي). ألاحظ كيف يحترق شعري تدريجياً، وبمجرد أن تصبح البشرة ناعمة، تبدأ في الطهي بشكل غير منتظم، بين البني والبني الداكن حسب الأجزاء، واللسان، الذي كان ثميناً قبل الطهي وبعده، يصبح بلون رمادي لؤلؤي لطيف، لكن أين أنا؟ هل ما زلت في الفرن؟ عندما كنت أعمل على الشاطئ مع السياح، كنت أنظر إلى البحر وأفكر في الأوركا والحيتان والدلافين تحت الماء،

تسبح بحرية، ومدفوعًا بركلات في جانبي من صبي عصبي، كنت أتخيل أنني أتقدم نحو البحر، الذي سيتولى في أمواجه المقدسة إبعاد الصبي عني، لكن هل أنا تحت الماء؟ أنا تحت الماء إذا لم أؤذي أحداً سوى من يجب أن آكله، لكن ماذا يمكنني أن أفعل، هذه دورة الحياة، والآن حان دوري لأكون من يأكل، مع صديقاتي نحاصر سمك الرنجة ونطارد اسماك التونة، فوق السطح نسمع السالوما، أغاني قديمة للبحارة والصيادين، تتحدث عن الرحلات النبيلة عبر البحار، نغني أيضاً أغانينا، التي ننسخها أحياناً من تلك التي نسمعها على السفن، عندما تموت امنا المهيمنة، ننتشر أو نشكل مجموعتنا الخاصة، وإذا ماتت وهي صغيرة السن، نحمل جثتها لفترة طويلة، ولكن ليست كل الأيام حزينة، هناك أوقات ننجرف فيها وراء إغراءات الموضة، ونرتدي أزياءنا المفضلة للعب :سمكة سلمون ميتة على جبهتنا مثلا، كما نقترب من السفن، وإذا كنا شبعى، نرمي بفمنا إلى مقدمة السفينة ما تبقى لدينا من سمك التونة، فمن العدل في النهاية أن نرد لهم جميل صنيعهم في تسهيل عملنا بجمعهم للسمك ، عادة ما يخاف الصيادون، رغم أننا لم نهاجم أيًا منهم تحت الماء، فالمحيطات شاسعة ولا نأدي أحدا منهم ما دمنا أحرارًا، لكنهم في المقابل، يضعون موسيقى جهنمية تدمر طبلة الأذن ويوجهون مكبراتهم الصوتية إلى الماء، ويلقون ببولهم المتراكم عندما يرون زعانفنا، وحتى البنزين، الذي يفسد السمك ويفسد كل شيء، ويلقون بالرمل لتعكير رؤيتنا ومنعنا من الاقتراب، أكياس وأكياس من الرمل حتى يبدو وكأنه المطر يهطل في الماء، لكن لا شيء يثبط عزيمتنا عندما يتعلق الأمر بحماية صغارنا، الضوضاء، التيارات تحت الماء مثل اللهب، فقاعات كثيرة في كل مكان لدرجة أننا لا نعرف الى أين نسبح، في أحد الأيام بينما كنا نصطاد، دخلت سفينة صغيرة إلى منطقة الملاحة المحظورة، عادة ما نسبح هناك بهدوء، لكنها كانت تطارد التونة، فنذهب لتلقينها درسًا، ألا تعرف أن هناك مناطق يمنع الإبحار فيها؟، نندفع نحن الصديقات نحو القارب، هناك رائحة جلد محترق تحت الماء، ورائحة فطائر محشوة طازجة ولحم مشوي، أعض الدفة تبعا لتعليمات غلاديس، كبيرتنا، من هو العالم الذي أطلق على أمنا اسم بوليرو؟ تمكنت من كسر الدفة، ودفعنا جميعًا من الأسفل بأنوفنا حتى انقلب القارب، يا لها من حفلة انقلاب، وسقط زوجان في البحر، ترتدي المرأة بيكيني ويرتدي الرجل سروال سباحة قصير مزين بالورود، وغرقا بين أجسادنا الضخمة، سقطا وحدهما ولا أحد غيرهما، على الرغم من أنني لا أعتقد أنهما كانا وحدهما في القارب .الزوجان يتبادلان معي النظر تحت الماء، لا يريان في عيني شيئًا مألوفًا وهذا يرعبهما، أو ربما يران شيئًا مألوفًا وهذا ما يرعبهما أكثر، لا يوجد ذعر أكبر من أن تكون وسط البحر أمام حوت كبير قاتل، تفكر الفتاة، التي لم تبلغ الثلاثين من عمرها بعد وقد فقدت لتوها نعمة الحياة، ليت هذا كان

كله صورة فوتوغرافية فقط، تفكر، لكن لا، أنا حقًا أرى رأس الحوت القاتل أمامي، انا لا أتحرك، لكنها لا تتبث نظرها نحوي وتنظر إلى الأسفل، إلى الهاوية الزرقاء تحت أقدامنا، تبدو اكثر كالسماء من قاع البحر، عندها تكتشف، في هذا الظلام، حركة غير ملحوظة لمقبرة من الجثث، تتأرجح في صمت مئات الجثث، التي لا يلمع منها سوى بريق عيون صغيرة شبحية تحت الماء، أو ربما يكون انعكاسا بعيدا للطحالب، لو كان سقط احد الصيادين، فكر الشاب للحظة، في الحقيقة، أحد هؤلاء الصيادين الذين ينامون على مقدمة السفن، منهكين من التعب، أحد هؤلاء الأشخاص الذين ينامون في أي مكان على اليابسة، وحتى أبعد من ذلك، في البحر، في كل البلدان هناك من ينامون في أي مكان من شدة الإرهاق، على الرغم من أن ببعض البلدان نائمون أكثر من غيرها، صياد سيستيقظ متأخرًا جدًا، مع الأوركا تحت القارب، وينتهى بي المطاف في الفرن، ولكن لا، كانا هما الذان سقطا من اليخت، كان ذعره هو ما رآه ينعكس في عيون الأوركا، وللحظة تساءل لماذا لم يتخيل أبدًا أنه قد يجد نفسه في هذه الحالة، تمنى لو كان لديه كاميرا، فكر لبرهة أيضًا، هل تتخيلون عدد الإعجابات؟ لم يستطع حتى إنكار أن ذلك خطر بباله، صديقي ذو العين الزجاجية لم يكن ليفكر في ذلك أبدًا، أقسم لك، أين أنت الآن يا صديقي؟ إذا عدت فلن تجدني، لكنني لا أتزحزح،. لا أتقدم ولا أتراجع، كيف سيبقى في نفس المكان؟ لكنني أطفو أمامه وأنظر إليه، ماذا يجب أن يفكر وبأي لغة؟ هل ستكون أفكاره مشابهة لأفكاري؟ أم أنها ستكون مختلفة تماماً؟ إذا التهمته، ربما يمكنه يولد من جديد في داخلي، وبعد أن يخرج من فمي، يطفو إلى السطح ويسبح إلى الشاطئ، ويخرج من بطني، ويتركني ورائيه كحلم سيئ أو كحلم، ربما، يعيد له الرغبة الحميمة في العيش، حسناً، ا أنا الآن مثل ذلك الفتى، الحقيقة تقال، أمام موتي الذي ينظر إلي، الذي أؤخره إلى ما لا نهاية وأبعد من ذلك، ولكن ما هذه النجوم؟ هل عدت إلى الصحراء؟ لماذا أفكر ببطء شديد؟ لماذا لا تأتي الكلمات إلى ذهني؟ ماذا أكون إذا لم يروني؟ ماذا يفكر ذلك الرأس الذي ينظر إلي؟ وبينما يزداد صعوبة التفكير والسباحة، ألمح، على الرغم من أنني لا أعرف ما إذا كنت أعيش ذلك بالفعل، كيف يخرجونني من الفرن بملقط ويضعونني في سلة ملفوفة بقطعة قماش دخانية، ويأخذونني في الشوارع، وتمسكني ملاقط كبيرة، وتقطعني امرأة ترتدي مئزرًا، أعتقد أنها مالكتني الرابعة (دائمًا مع احتساب الجزار)، إلى قطع بمقص كبير،أو هو صحن يقطع لحمي الطري ؟ لا أستطيع إلا أن أرى لوهلة وجهها الذي ينظر إلي، تلمع على وجهها جدية رائعة، تبدو مركزة ولكن خفيفة، وفية للدفاع عن تقاليدها، لا أعرف كيف، من زاوية عيني، أرى دماغي يغلي في قدر مع صلصة الطماطم، ثم تقطع اللسان، الذي يقطعه لصنع النقانق، ثم تقطع فكي ثم جمجمتي إلى

عدة قطع، وتقدمها على صينية كبيرة فضية بين أكوام من الكمون، والراس الحانوت، والبابريكا، والفلفل، والملح، وتأخذني إلى طاولة في فناء كبير مزين بالخشب والبلاط الأخضر، وتضعني في وسط الطاولة بين وجوه أعرفها جيدًا من شاطئ طنجة، على الرغم من أنهم يتحدثون لغة أفهمها أقل من غيرها، بعضهم ينظر الي و البعض الاخر لا ينظر الي ، يضحكون بصوت عال و يمسكونني باصابعهم و يغمسونني في التوابل و يبدؤون في أكلي. و ...